WWW.ATTAWEEL.COM

مجلة تراثية فصلية محكمة

المجلد الخامس والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

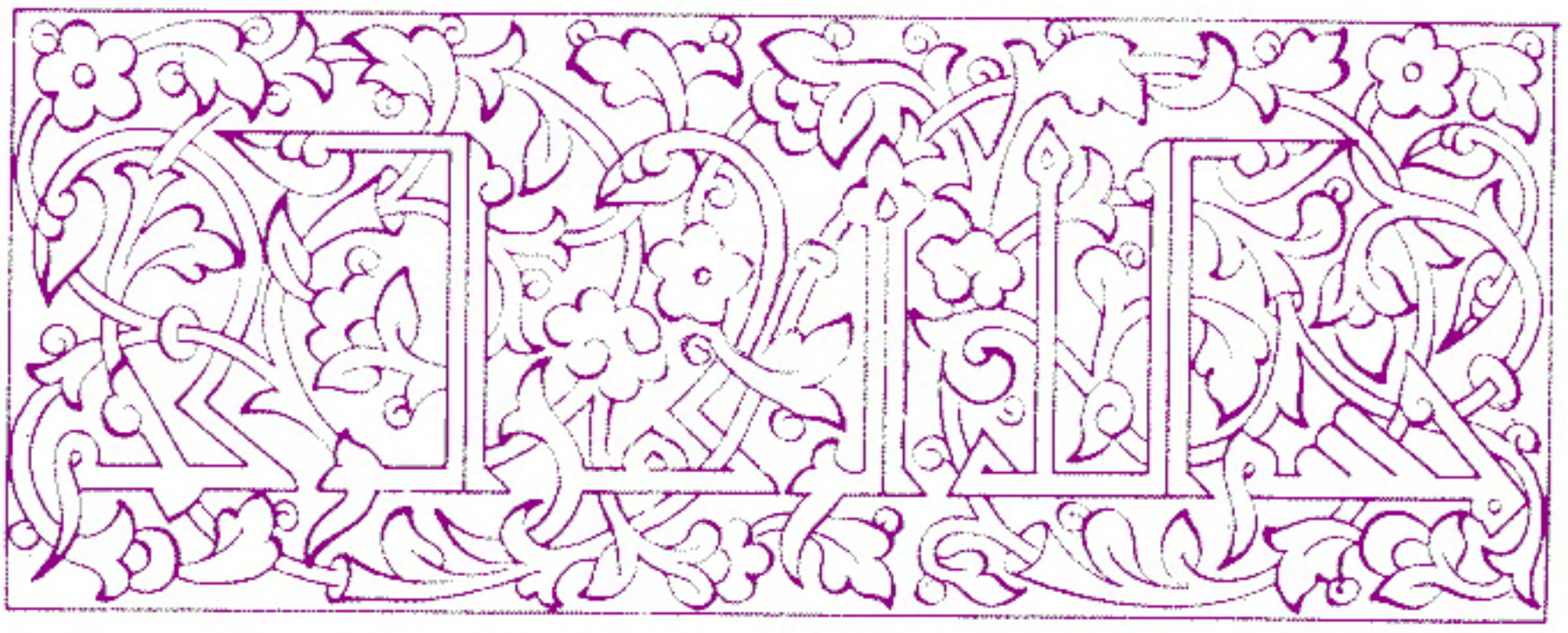

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

أسد الدين محمد

الطب والاطباء العرب(*)
في القرن السابع الهجري

د . كمال السامرائي

القسم الثاني

ابن الصوري[٩] ـ هو ابو المنصور رشيد الدين بن علي الصوري .

طبيب وعشاب وشاعر ، وقد ولد بصور ونشأ فيها ثم انتقل الى دمشق وفيها درس الطب على موفق الدين بن عبد العزيز في البيمارستان النوري ، كما درسه على عبد اللطيف البغدادي . ورحل الى القدس وعمل في بيمارستانها ، وأخذ فيها عن العشاب الشيخ أبي العباس الجياني . وخدم بعليه ملك القدس ابي بكر بن ايوب . وصحبه الى مصر ، وفيها خدم لابنة الملك المعظم عيسى ثم لابنة الملك الناصر داود فنصبه هذا الملك رئيساً لاطباء مصر . وعاد ابن الصوري الى دمشق واقام فيها مجلساً لتعليم الطب . واعمال ابن الصوري المقدمة اهتمامه بالاعشاب والنباتات الطبية ، وكان يدرسها في الوديان وعلى الجبال بسوريا ولبنان ويوثق صفاتها برسم نبتها بالاصباغ بحسب الوانها في تتابع نموها وعند اكتماله وبعد جفافه فصار له معلومات وفيرة عن طبيعتها ضمنها كتاباً يعتبر اول كتاب مصور في النبات باللغة العربية ـ وتوفي ابن الصوري سنة ٦٣٩هـ(١٢٤١م) ومن تلاميذه ابن ابي أصيبعة . ومن مؤلفاته كتاب الادوية المفردة وهو الذي ادخل فيه صور الاعشاب الطبية وجعله باسم مخدومه الملك المعظم الايوبي ، وله ايضاً تعاليق ووصايا كتبها لابن ابي اصيبعة ، وكتاب آخر فيه على كتاب(البلغاري)في الادوية المفردة .

أبو الحسن بن غزال[٣٥] ـ

ويلقب بامين الدولة ، وهو ابن ابي سعيد السامري ، وقد اسلم فلقب لفرط أدبه ووفر علمه بكمال الدين ، وخدم الايوبيون في بعلبك وعند لملكها اسماعيل بن الملك العادل . وكان ولوعاً باقتناء الكتب ويستخدم لها العديد من النساخ ، فصارت له مكتبة ضخمة تضم فيها عشرين الف مجلد . وتوفي الصاحب بدمشق في ايام الملك نجم الدين ايوب سنة ٦٣٥هـ(١٢٤٠م) وله من المؤلفات : كتاب النهج الواضح في الطب وهو بخمسة كتب في الامور الكلية بعلم الطب ، وعلامات الامزجة المختلفة وفي الادوية المفردة والمركبة ، وفي تدبير الاصحاء وعلاج المرضى بالادوية والعمليات الجراحية ، وفي الامراض الباطنة والسموم والزينة .

شرف الدين الرحبي[٣٦] ـ

هو ابو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة ، ولد بدمشق ونشا على مثل ابيه خلقاً وعلماً ، كما قرأ على عبد اللطيف البغدادي ، وعمل من البيمارستان الكبير النوري ، ورأس مدرسة الدخوار بعد وفاته ، وتوفي بعلة ذات الجنب بدمشق بعمر الثمانين وله من المؤلفات : كتاب في خلق الانسان وهيئة اعضائه ، وحواشي على كتاب القانون لابن سينا ، وحواشي على شرح ابن ابي صادق النيسابوري لمسائل حسين بن اسحاق .

ابن قاضي بعلبك[٣٧] ـ

هو بدر الدين بن القاضي مجد الدين ، وقد نشأ بدمشق وتعلم فيها الطب على مهدي الدين الدخوار ، وخدم الملك الاشرف موسى بن الملك العادل ، كما اشتغل في بيمارستان الرقة وصنف فيها مقالة في طبيعة هذه المدينة . وفي دمشق اشترى بماله الدور الملاصقة للبيمارستان الكبير النوري واضافها اليه . وقد توفي سنة ٦٤٠هـ(١٢٤٢م) وله فضلاً عن مقالته في مزاج الرقة كتاب باسم مفرج النفس ضمنه الادوية المفيدة في مرض القلب ، وكتاب المنح في الطب أخذ فيه عن آراء جالينوس في

(*) نشر(القسم الاول) في العدد الاول ـ ١٩٩٦

الطب .

وفيع الدين الجيلي[٢٨] ـ

هو أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد . من اهل جيلان وينسب اليها . عاش بدمشق وله فيها علم يعلم فيه الطب . ومن تلاميذه ابن ابي اصيبعة . ولورعه وعلمه بعلوم الشريعة ولاه الملك عماد الدين اسماعيل الايوبي منصب قاضي القضاة . وتوفي الجيلي بدمشق سنة ٦٤١هـ(١٢٤٣م) . وله من المؤلفات اختصار الكليات من قانون ابن سينا .

نجم الدين بن المنفاخ[٢٩] ـ

واسمه احمد بن أسعد ويعرف بابن العالمة المعروفة باسم دهين اللوز . مولده ومنشاه بدمشق . ودرس الطب على ابيه موفق الدين المنفاخ طبيب الملك الاشرف موسى بن ابي بكر ، وعلى مهذب الدين الدخوار ، واتقن معرفة المهنة علماً وعملاً . وكان يجيد الضرب على اوتار العود والخط . وخدم بآمد ديار بكر في بلاط صاحبها الملك المسعود الايوبي وحذ له . كما خدم الملك الاشرف بحمص . وتوفي سنة ٦٥٢هـ(١٢٥١م) بظروف غامضة ، وله من المؤلفات : كتاب التدقيق في الجمع والتفريق ، وهو في تشخيص الامراض التفريقي . وكتاب هتك الاسرار في تمويه الدخوار . وكتاب في شرح احاديث نبوية تتعلق بالصحة والطب ، وكتاب المهملات في كتاب القانون ، وكتاب العلل الى الطب وكتاب الدخل والاعراض ، وكتاب الاشارات المرشدة في الادوية المفردة .

عماد الدين الدنيسري[٣٠] ـ

ابو عبد الله بن القاضي تقي الدين عباس . مولده ومنشاه بدنيسر القريبة من ماردين وفيها تعلم الطب ، ودخل القاهرة ودمشق ومارس في البيمارستان النوري بهذه المدينة . وهو شاعر مطبوع وقد توفي بدمشق سنة ٦٦٧هـ(١٢٧٧م) بعمر اثنتين وستين سنة . وله من المؤلفات : المقالة المرشدة في درج الادوية المفردة ، وكتاب نظم الترياق الفاروق ، وكتاب المترو ديطوس ، وشرح كتاب تقدمة المعرفة لابقراط ، وارجوزة طبية .

ابن البيطار[٣١] ـ

هو أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن احمد المالقي ، وربما كان ابوه يمارس مهنة البيطرة فعرف ابنه ضياء الدين بنسبته الى هذه المهنة . وقد ولع بدراسة الاعشاب منذ صغره ، ثم درسها على علماء هذا الاختصاص وكان منهم أبو العباس بن الرومية وعبد الله بن صالح الكتاني صيدلاني بلاط الموحدين بفاس وعلى ابي الحجاج الاشبيلي ، كما تابع قراءة مؤلفات الاعشاب واستعمالها في تداوي الامراض ، من علماء اليونانيين والعرب في المشرق وفي الاندلس والجزائر فكان من مصادر مؤلفاته ديوسقريدس العين زرين واسحق بن سليمان الاسرائيلي ، ومسيح الدمشقي وجيش الاعسم الدمشقي وحنين بن إسحاق وابو بكر الرازي وابن سينا وغير هؤلاء كثيرون . وطاف وديان الاندلس وجبالها ليتدارس نبت تلك الديار وما فيها من احجار وحيوانات . ثم عبر البحر الى المغرب وهو في العشرين من عمره وقطع الصحراء على الجمل ودخل مصر في ايام حاكمها الملك الكامل محمد بن ابي بكر الايوبي فاكرمه وعينه رئيس العشابين بديار مصر ، وغادر ابن البيطار مصر نحو الشام وقيل انه دخل ايضاً بلاد الروم وراء دراسة الاعشاب فيها . وفي دمشق التحق به ابن ابي اصيبعة وتعلم عليه تفسير بعض اسماء الاعشاب الواردة في كتاب ديوسقريدس وكتب جالينوس والغافقي . وقد يكون من تلاميذه ايضاً عز الدين بن السويدي . يعد ابن البيطار اعظم العشابين العرب قاطبة ، وهو من بينهم كديوسقريدس بين العشابين اليونانيين . ومن مؤلفاته كثير من الادوية التي لم يذكرها ديوسقريدس في كتاب(هيولى الطب) . وكتابه وحده يكفي لان يجعل العرب قد فاقوا ما كتبه العشابون من الاعاجم . ولا يزال كتابه الجامع في مفردات الادوية والاغذية مرجعاً لمن يبحث . في استعمالات الادوية والاغذية في الوقاية من الامراض وعلاجها . توفي ابن البيطار بدمشق سنة ٦٤٦هـ(١٢٤٨م)وله كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، وهو اشهر مؤلفاته وسبب شهرة مؤلفه فيه وصف لاكثر من الف واربعمائة صنف من الادوية والاغذية ، اكثر من ثلاثمائة منها مما ليس لها ذكر في المؤلفات الهندية او اليونانية . وما سوى ذلك فقد اخذه عن مؤلفات من سلفه او عاصره من الاطباء . وهو يحرص ان يشير الى هذه المصادر في كل ما ينقله عنها . وقد ترجم كتاب الجامع الى اللاتينية والالمانية والفرنسية . وله مخطوطات كثيرة في مكتبات العالم التراثية . ولابن البيطار كتاب أخر سماه باسم المغني في الادوية المفردة ، ويعرفه المستشرقون باسم مفردات ابن البيطار ، وقد رتب ادويته ابن البيطار بحسب اعضاء الجسم الالمة . ولابن البيطار ايضاً كتاب في شرح ادوية كتاب ديوسقريدس ، وكتاب ينقد فيه كتاب المنهاج لابن جزلة البغدادي باسم الابانة والاعلام عما في المنهاج من الخلل والاوهام ، وكتاب ميزان الطب وكتاب الدرة البهية في منافع الابدان الانسانية . والكتب الاربعة الاخيرة لاتزال مفقودة .

ابن أبي إصيبعة[٣٢] ـ

ويقصد به ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن ابي

اصيبعة الخزرجي . وقد اشتهر من دون افراد العائلة بكنية جده . وكان ابو القاسم بن خليفة يمارس الطب والكحالة بدمشق فتعلم ابنه ابو العباس عليه الصناعتين ، كما درس على الدخوار ورضى الدين الرحبي ونجم الدين بن المنفاخ . واكثر الاحتمال انه اشتهر بطب العين فقط . وفي ايام الملك الكامل بمصر رحل ابو العباس الى هذا القطر والتحق فيها بالبيمارستان الصلاحي حيث كان يعمل فيه ابن النفيس رفيق صفة في المدرسة الدخوارية بدمشق . ثم هجر مصر بعد عام عائداً الى دمشق وفي هذه المدينة شرع بوضع كتابه المشهور عيون الانباء في طبقات الاطباء ثم انتقل الى صرخد(صلخد ؟) بحوران جبل الدروز وفيها اكمل كتابه المذكور . وفي هذه المدينة توفي سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩ بعمر يزيد على السبعين سنة . وله من المؤلفات : كتاب عيون الانباء الذي مر ذكره قبل قليل وهو افضل ماكتب باللغة العربية من تراجم الاطباء الاعاجم والعرب . وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا من مؤلفاته . وله ايضاً كتاب التجارب والفوائد(في الطب) ، وكتاب حكايات الاطباء في علاج الادواء ، وكتابات اصابات المنجمين . واذا كانت هذه الكتب الثلاثة من حيث منهجها ومحتوياتها نظيره لكتابه عيون الابناء في طبقات الاطباء فما اعظم الخسارة بضياعها .

موفق الدين يعقوب السامري[٣٣] ـ

من كبار اطباء دمشق ، وقد ولد ونشأ في هذه المدينة وتعلم فيها الطب واتقنه ، وعلمه لكثير من الاطباء وتوفي سنة ٦٨١هـ . وله من المؤلفات : شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، وقد جمع فيه ما شرحه ابن خطيب الري والقطب المصري . وكتاب حل شكوك نجم الدين بن المنفاخ على الكليات .

ابن القف الكركي[٣٤] ـ

امين الدولة بن موفق الدين اسحاق بن القف النصراني الملكي المذهب(اليعقوبي) وقد تعلم الطب على ابن ابي اصيبعة في صرخة الشام ، وقرأ عليه امهات كتب الاطباء العرب . واستزاد من المعرفة الطبية على نجم الدين بن المنفاخ وعلى يعقوب السامري . وقد توفي في دمشق سنة ٦٨٥هـ وله من المؤلفات كتاب العمدة في صناعة الجراح بعشرين مقالة يصنفها في القسم العملي من الطب ولولا قدم كتاب التصريف لابي القاسم الزهراوي المتوفى بجبرودة سنة ٤٠٠هـ لاعتبرنا كتاب العمدة مضاهياً له ان لم يكن يفوقه تضميناً . وابن القف في كتاب العمدة اول طبيب عربي يذكر التخدير بالاستنشاق . ولابن القف ايضاً كتاب الشافي في الطب ، وكتاب شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا بستة مجلدات ، وكتاب شرح الفصول لابقراط بكتابين ، ومقالة في حفظ الصحة ، وكتاب جامع الغرض ولم يصلنا من هذه الكتب سوى كتاب العمدة .

المستشفيات بديار الشام

كان في ديار الشام قبل حلول القرن السابع للهجرة زهاء عشرون مستشفى بما فيها مستشفى المدينة المنورة ومستشفى مكة المكرمة . اما ماعرف منها في القرن السابع فكان اثنان فقط وهي بيمارستان النوري بحلب ، او البيمارستان العتيق . وقد اسسه الملك نور الدين محمود فنسب اليه ، وقد اضاف الى عمارته صلاح الدين الايوبي قاعة للمرضى النساء اخذها من الدور المجاورة له . والمستشفى الاخر الذي عرف بديار الشام في القرن السابع هو البيمارستان الكبير النوري . وقد اسسه الملك نور الدين محمود سنة ٥٤٩هـ(١١٥٤م) ، وكان اشهر واوسع مستشفى طيلة القرن السابع الهجري وحتى مطلع القرن الخامس عشر للميلاد[٣٥] . وكان فيه كل ما تتطلبه الخدمات الطبية لمختلف الامراض ، للنساء والرجال ، كما كان فيه خزانة للادوية وقاعة لتعليم الطلاب . وقد عمل فيه زهاء عشرون طبيباً نذكر من بينهم شمس الدين الكلي ، ورضى الدين الرحبي وجمال الدين الرحبي ، وشرف الدين الرحبي ، ومهذب الدين الدخوار ، وسرية الدين بن رقيقة ، وعز الدين السويدي ، وعماد الدين الدنيسري ، وابن قاضي بعلبك وموفق الدين بن عبد العزيز وكمال الدين الحمصي ورشيد الدين الخزرجي .

الطب والاطباء بمصر الايوبيين والمماليك

تنعمت مصر في ايام الفاطميين(٣٤١ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٥٢ ـ ١١٧١م) باهتمام كبير من حكامها بالعلوم وتعضيد العلماء بالجاه والمال . وكذلك في ايام الايوبيين الذين اعقبوهم عليها(٥٦٩ ـ ٦٥٠هـ) وكان حكام مصر في اكثر سنى العهدين يحكمون الشام كما يحكمون مصر ، واطباء القطرين يتناوبون فيها على خدمة الخلفاء والملوك وبحكم الحروب الصليبية التي كان يدير رحاها في الجانب الاسلامي الملك الناصر صلاح الدين الايوبي على مدى ربع قرن(٥٦٤ ـ ٥٨٩م) ، فقد احتاط هذا الملك القائد لمقتضيات القتال فضم الى حاشيته اطباء جميع الاختصاصات الطبية من اطباء وجراحين وكحالين ومجبرين وممرضين ، وقد انحدرت افكار ومؤلفات هؤلاء الى اطباء القرن السابع في حكم الايوبيين والمماليك الاتراك(٦٤٨ ـ ٦٩٨هـ) وظهر في ايام هؤلاء الحكام عدد من الاطباء الذين يشار اليهم بالبنان لما قدموه من المعرفة الطبية ، نذكر من بينهم :

١ ـ موسى بن ميمون[٢٦] ـ

ويلقب بالرئيس وكنيته ابو عمران . يهودي من قرطبة وينسب اسمه اليها . وعائلته ذات حسب ومشاركة في الشريعة اليهودية. فلما استولى الموحدون على قرطبة في سنة ٥٤٣هـ(١١٤٨م) نزحت العائلة الى المرية التي كانت قد خضعت لحكم الفشتاليين ، وكان فيها ابن باجة وابن رشد ،فتتلمذ عليها ابن ميمون . وفي المرية وهو بعمر العشرين سنة قرأ القرآن ، وقيل انه تاثر بآياته وأسلم . وسافر الى فاس ومنها الى فلسطين التي كانت عهدئذ بايدي الصليبيين . وبعد اشهر معدودة غادرها الى الفسطاط . وكان ذلك في اواخر حكم الفاطميين ، وفي سنة ٥٦٤هـ(١١٧٤م) انضم الى حاشية صلاح الدين الايوبي ونال منه الرضى والحماية . وصار طبيبه الخاص[٢٦] وكان ابن ميمون فيلسوفاً اكثر مما هو طبيباً ، ويعتمد على آراء ابقراط وكتبه وقلده فيها فوضع كتاباً باسم(افرو شيم موسى) مناظراً لكتاب(الفصول) . وتوفي ابن ميمون بحدود سنة ٦٠٥هـ(١٢٠٨) ودفن بطبرية[٢٧] وله عشرة مؤلفات كتبها جميعاً بالعربية وترجمت بعد ذلك الى العبرية ، وكتبه هي : فصول موسى(افرو شيم موسى) ويضم زهاء الف وخمسمائة حكمة طبية استمدها من اقوال ابقراط وجالينوس ، وعلق على اثنين واربعين منها في الامراض النسائية والصحة العامة والعلاج بالرياضة والاستحمام . وكتاب الطب القديم ، ومقالة في بيان الاعراض ، ومقالة في شرح اسماء العقار ، ومقالة في الربو ، ومقالة في الجماع والباه ، ومقالة في البواسير ، وكتاب في السموم والتحرز من الادوية القتالة .

٢ ـ ابراهيم بن موسى بن ميمون[٢٨] ـ

درس على ابيه الحكمة والطب ، الا انه لم يصل الى ما وصل اليه من المعرفة ، وقد خدم بطبه الملك الكامل محمد الى جانب فتح الدين بن ابي الحوافر ، كما اشتغل في البيمارستان الصلاحي بالقاهرة . وقد توفي سنة ٦٣٠هـ(١٢٢٢م) .

٣ ـ الشيخ السديد بن ابي البيان[٢٩] ـ

اسمه داود بن ابي البيان داود . وكان طبيباً حسن العمل وخبيراً في الادوية المفردة وصيدليتها ، وقد تعلم المهنة على هبة الله بن جميع اليهودي وعلى ابي الفضائل بن الناقد . وقد عاش معمراً الى الثمانين سنة ، وتوفي بحدود سنة ٦٣٩ وله كتاب الدستور البيمارستاني وهو باثني عشر باباً في الادوية المركبة المتداولة في مستشفيات الشام ومصر والعراق . وله ايضاً كتاب العلل والاعراض لجالينوس .

٤ ـ جمال الدين بن ابي الحوافر[٣٠] ـ

هو ابو عمرو عثمان بن هبة الله . مولده بدمشق . وتعلم الطب فيها على مهذب الدين بن النقاش ورضى الدين الرحبي ، والتحق بالملك عثمان بن صلاح الدين الايوبي في مصر فولاه رأسة الطب بمصر ، ثم خدم من بعده الكامل محمد بن ابي بكر ، وتوفي في القاهرة بحدود سنة ٦١٨هـ واعقب ولداً هو فتح الدين فكان خير خلف لخير سلف . اما حفيده شهاب الدين بن فتح الدين فقد كان من العلماء والاطباء البارزين في زمانه ، ورئيس اطباء مصر في ايام الملك بيبرس المملوكي المتوفى سنة ٦٧٦هـ(١٢٦٠م) .

٥ ـ ابو سعيد بن ابي سليمان[٣١] ـ

هو حفيد ابي المنى بن ابي فاته منجم صلاح الدين الايوبي . قرأ الطب على ابيه وخدم على الملك ابي بكر بن ايوب وتوفي في القاهرة سنة ٦١٣هـ .

٦ ـ ابو نصر بن ابي سليمان بن ابي فانة[٣٢] ـ

تعلم الطب وخدم به ملوك بني ايوب في مدينة الكرك وتوفي فيها سنة ٦١٣هـ . ثم اعقبه في خدمتهم اخوه الاصغر ابو الفضل بن ابي سليمان الذي خدم ايضاً الملك المعظم المتوفى سنة ٦١٥هـ في الكرك كما خدم الملك الكامل المتوفى سنة ٦٢٥هـ(١٢٢٨) بالقاهرة .

٧ ـ رشيد الدين ابو حليفة[٣٣] ـ

هو ابن ابي سليمان بن ابي المنى ابن فانة ويكنى بابي الوحش ، ولم يكن يعيش لابيه ولد ذكر فنذر ان يضع في اذنه قرطاً من الفضة ويتبرع بها ان عاش له ذلك الولد . فكان له رشيد الدين ورغبت والدته ان لا يخلعها من اذنه فكنى بها مدى حياته وتوفي رشيد الدين ابو حليفة بحدود ٦٣٠هـ(١٢٣٨م) وله من المؤلفات : مقالة في حفظ الصحة ، وكتاب في الادوية المفردة سماه المختار في الالف عقار ، وكتب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها بالادوية المفردة والمركبة وهو ملتقطات من الكتب القديمة والحديثة في هذا الاختصاص . ومقالة في ضرورة الموت .

٨ ـ رشيد الدين ابو سعيد[٣٤] ـ

اسمه موفق الدين يعقوب . من نصارى القدس ، وقد درس الطب على رشيد الدين بن خليفة الخزرجي وعلى مهذب الدين

الدخوار ، وكان في خدمة الملك الصالح نجم الدين ويصحبه في سفره بين القاهرة ودمشق وتوفي بدمشق سنة ٦٤٦هـ(١٢٤٨م) وله كتاب عيون الطب رفعه لمخدومه الملك نجم الدين ، وكتاب تعاليق على كتاب .

ابن النفيس[١٥]

من اطباء العالم الخالدي الذكر . اسمه ابو العلاء علاء الدين ابن ابي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس . ولد بدمشق ودرس الطب فيها على الدخوار وعمران الاسرائيلي ثم نزح الى القاهرة وهو بعمر يناهز الخامسة والعشرين . ودخل البيمارستان الصلاحي فيها ، وتقدم فيه حتى رأس اطبائه ، ثم انتقل الى البيمارستان المنصوري حيث خدم فيه زهاء خمسين سنة ، وفيها وضع مؤلفاته . وكان يمارس الطب ويعلمه في مجلس له يتردد اليه اعلام القاهرة وطلاب العلم . وكان من تلاميذه المشهورين ابن القف الكركي . ولم يتزوج طيلة حياته ولم يقرب الخمرة . وهو متفقه في الشريعة الاسلامية وطبيب كثير القراءة والكتابة ، فكانت تستحضر له الاقلام المبرية حتى لا يضيع وقته حين تزدحم في رأسه الافكار . ويروي انه قال(لو لم اعلم ان تصانيفي تبقى عشرة الاف سنة ما وضعتها) . وله الحق فان اكتشافه لدورة الدموية الصغرى سيحفظ له ذكر اسمه على مدى التاريخ . وقد ادعى عالم التشريح سرفينوس(ت ١٥٥٣) انه هو صاحبه هذا الاكتشاف العظيم . وقد كشف شاب مصري هو محيي الدين التطاوي(ت ١٩٤٥) بطلان الادعاء المذكور . اما وليم هارفي الانكليزي فقد جاءت اعماله في الدورة الدموية بعد ثلاثة قرون تقريباً من وفاة ابن النفيس . توفي ابن النفيس سنة ٦٨٧ بمصر يناهز الثمانين . واوصى قبيل وفاته بما عنده من المال والكتب الى البيمارستان المنصوري . وتعرف من مؤلفاته اربعة عشر كتاباً خمسة منها شروح على بعض مؤلفات ابقراط وجالينوس ، واثنان على كتاب القانون لابن سينا اهمها كتاب شرح تشريح القانون وقد ضمنه اكتشافه للدورة الدموية . كما لابن النفيس كتاب الشامل وهو موسوعة بثلاثمائة سفر ، كان منها ثمانون في مكتبة بيمارستان قلاوون . وكتاب الموجز وهو كتاب موجز في الصورة لكنه كامل في الصناعة . وهو مختصر لكتاب القانون لابن سينا . ولابن النفيس ايضاً كتاب المهذب وهو في طب العين . وكتاب شرح مفردات القانون . وكتاب المختار من الاغذية . ومقالة في النبض ، وشرح مسائل حنين ، ورسالة في اوجاع الاطفال . وكتاب فاضل ابن ناطق . وهو قريب الشبه من كتاب حي بن يقظان .

مستشفيات مصر[١٦]

عرف في مصر في القرن السابع للهجرة مستشفيان كبيران هما بيمارستان الصلاحي وبيمارستان المنصوري . والمستشفى الاول من اعمال السلطان صلاح الدين الايوبي وقد انشاه اثر تملكه مصر سنة ٥٦٧هـ(١١٧١م) . واصل بنايته قصر من املاك الخلفاء الفاطميين ، وبقي يقدم الخدمات الطبية حتى سنة ٨٢١هـ(١٤١٨م)وعمل فيه كبار الاطباء ، منهم رضي الدين الرحبي ، ابراهيم بن الرئيس ميمون ، الشيخ السديد بن ابي البيان ، نفيس الدين بن الزبير ، ابن ابي اصيبعة ، وابن النفيس القرشي . اما البيمارستان المنصوري[١٧](ويدعى ايضاً دار الشفاء او مارستان قلاوون) . واصله دار لابنه العزيز بالله نزار الفاطمي ؛ فطوره الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣هـ(١٢٨٤م) ليكون مستشفى . وصار يصرف عليه الف الف درهم سنوياً . وضم اليه مدرسة ودار ايتام ووقفهما الى جميع طبقات الشعب(من الذكور والاناث والاحرار والعبيد والصغير والكبير) وجعل لمن يخرج منه كسوة ، وجهازاً لمن يتوفى فيه ووظف له الاطباء والجراحين والمجبرين ، وزوده بالتخوت والفرش واللحف وعين للمرضى الخدم والفراشين . ومن يدخلهم الحمام ويغسل ثيابهم . كما خصص لكل طائفة من المرضى ردهة فكان منها لحالات الاسهال ، ولحالات الرمد ، وقاعة للنساء الممرورات ومثلها للرجال الممرورين . كما زود المستشفى بخزانة للادوية وصيدليتها ، ودائرة لرئيس الاطباء فيه وقاعة لالقاء الدروس . وقد بقي هذا المستشفى يقدم الخدمات الطبية حتى القرن الثامن عشر . ومن اطبائه الذين عملوا فيه : احمد ابن يوسف بن هلال الصفدي ، ومحمد بن ابراهيم السنجاري المعروف بابن الاكفاني وآخرون كثيرون عرفوا فيه بعد القرن السابع .

الطب والاطباء في المغرب العربي والاندلس

يطلق العرب تعبير المغرب على شمال افريقيا المحصور بين حدود مصر الغربية وساحل المحيط الاطلسي . كما يطلقون على القسم الشرقي منه اسم افريقيا ، وعلى قسمه البعيد الذي ينتهي بساحل المحيط اسم المغرب الاقصى وعاصمته مراكش ومن مدنه فاس . اما اسم الاندلس فيقتصد به ديار اسبانيا وعاصمته قرطبة ومن مدنه اشبيليا . وقد خضع كل من المغرب وبعض حواضر الاندلس الى ملوك المرابطين فيما بين السنين ٤٥٣هـ و ٥٤١هـ ، ثم حكمها ملوك الموحدين زهاء قرن ونصف بين السنين ٥٢٤هـ(١١٣٠م) و ٦٦٨هـ(١٢٦٩م) وكان ابرز هؤلاء الملوك الذين ارتبط بهم مشاهير اطباء القرن السابع ثلاثة هم الملك المنصور ابي يوسف

المتوفى سنة ٦١٠هـ(١٢١٣م) وابنه محمد الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦١١هـ(١٢١٤م) والمستنصر بالله بن محمد الناصر المتوفى سنة ٦٢٠هـ(١٢٢٤م) وكان لكل واحد من هؤلاء الملوك عدد من الاطباء يصاحبونهم في التنقل بين مراكش واشبيليا باسبانيا ، وجلهم من اهل هذه المدينة . وقد ورثوا اسلافهم الميل الى دراسة الاعشاب الطبية والعمل بصيدليتها . كما برع قسم منهم بالطب الجراحي وتوسيع تطبيقه في علاج الامراض امتداداً لاعمال سلفهم ابي القاسم الزهراوي بهذا الاختصاص . وفيما يلي نذكر باختصار ماعرفناه عن بعض اولئك الاطباء :

ابو محمد بن رشد[٨٨]ـ

وقد خدم بالطب الملك الناصر وكان فاضلاً وعالما بفنون الطب وله كتاب : مقالة في حيلة البرء .

ابن مواطير[٨٩]ـ

وهو ابو الحجاج يوسف . وكان في خدمة المنصور للوحدي وابنه الناصر وحفيده المستنصر . ومن تلاميذه ابو العباس الكنيناري .

عبد الملك بن قبلال[٩٠]ـ

وقد ولد ونشا بغرناطة ودخل مراكش بخدمة ملكها الناصر الموحدي .

ابراهيم الداني[٩١]ـ

وقد دخل هو وابناه في خدمة المستنصر بمراكش وتوفي في هذه المدينة .

ابو يحيى بن قاسم الاشبيلي[٩٢]ـ

وقد اختص بدراسة الاعشاب الطبية فولاه المستنصر الموحدي خزانة الاشربة الطبية وتوفي في ايامه .

احمد بن حسان[٩٣]ـ

من اهل غرناطة وقطن اشبيليا بخدمة المستنصر .

ابو محمد الشذوني[٩٤]ـ

مولده ومنشؤه باشبيليا . وتعلم فيها على ابي مروان عبد الملك ابن زهر وخدم به الناصر في اشبيليا ، وتوفي في ايام ابنه المستنصر .

ابن سلمة الباجي[٩٥]ـ

من باجة افريقيا ويعرف ايضاً بابن الحفيد . وقد تعلم الطب على ابن الحسين المصدوم المتوفى سنة ٥٨٨هـ وخدم به المستنصر بمراكش وتوفي في ايامه . ومن تلاميذه ابو العباس الكنيناري .

ابو جعفر بن الذراك[٩٦]ـ

من اهل المرية بالاندلس وتعلم الطب على ابي بكر بن زهر وخدم به المنصور وابنه الناصر بمراكش .

ابو بكر بن القاضي بن الحسن الزهري[٩٧]ـ

ولد ونشا باشبيليا وتعلم فيها على ابي مروان عبد الملك بن زهر وخدم به الناس احتساباً لوجه الله وتوفي ايام المستنصر باشبيليا .

ابو عبد الله الندرومي[٩٨]ـ

من اهل الندرومة بالجزائر اما مولده فكان بقرطبة وتعلم الطب على ابي الوليد بن رشد وعلى يوسف بن مواطير وخدم به الناصر في اخريات ايامه ثم ابنه المستنصر . كما خدم بعضاً من امراء بني هود .

ابن سابق[٩٩]ـ

وهو ابو جعفر . واصله من قرطبة وتعلم الطب على ابي الوليد بن رشد وخدم به الناصر ثم المستنصر وتوفي في ايامه .

ابن طملوس[١٠٠]ـ

وكان يطب الناصر وتوفي بجزيرة شقر سنة ٦٢٠هـ(١٢٢٣م) وله شرح ارجوزة ابن سينا .

ابو العباس بن الرومية[١٠١]ـ

اسمه احمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية ، وهو من اهل اشبيليا وينسب اليها احياناً . وقد اتقن معرفة خصائص انواعه الطبية ومجال استعمالاتها في علاج المرضى ، ويعتبر من علماء هذا الاختصاص الكبار في الاندلس . وقد قصد حج بيت الله الحرام فدخل القاهرة ودمشق والعراق ، وطلبه الملك العادل ابو بكر بن ايوب فواصل رحلته وعاد الى اشبيليا وفيها توفي بحدود سنة ٦٣٦هـ(١٢٣٨م) وله من المؤلفات : كتاب تفسير الادوية المفردة من كتاب ديوسقريدس ،

ومقالة في تركيب الادوية . ومن تلاميذه ابن البيطار المالقي .

ابو العباس الكنيناري[٥٢] ـ

من اهل اشبيليا وتعلم الطب على عبد العزيز بن مسلمة الباجي وعلى ابي الحجاج بن مواطير بمراكش . وخدم امراء بني هود باشبيليا .

محمد بن يوسف بن خلصون[٥٣] ـ

وهو من مواليد غرناطة وفيها تعلم صناعة الطب . ثم نزح الى مالقة ومارس الطب فيها حتى وفاته ايام الملك النصري ابو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٠١هـ(١٠٣١م) . وكان ابن خلصون صوفي النزعة ويجيد معالجة المرضى ، وله كتاب قيم باسم الاغذية وحفظ الصحة بخمس مقالات في تدبير المطعم بحسب نوعه وترتيب تناوله ، وحفظ صحة اعضاء الجسم بحسب الفصول والظروف الطارئة والدائمة وما الى ذلك .[٦٢]

تصحيح ـ

يدعي المستشرقون وفي مقدمتهم ماكس مايرهوف ان الطب العربي دخل مرحلة الانحطاط منذ سنة ١١٠٠م(القرن الخامس للهجرة) . ولا يبدو ان ذلك صحيح ، فقد نبغ في القرن السادس للهجرة اطباء كان لهم دور هام في تطوير المعرفة الطبية ونشرها ، واكتشاف كثير من اسرارها الخفية ، نذكر من اولئك ابو مروان عبد الملك بن زهر صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير(ت سنة ٥١١هـ) وابن قسوم الغافقي صاحب كتاب المرشد في طب العين(توفي سنة ٥٣١هـ) والشريف الادريسي صاحب كتاب الجامع لاشتات النبات(توفي سنة ٥٦٠هـ) ، والسموأل بن عباس المغربي البغدادي صاحب كتاب المفيد الاوسط في الطب(توفي سنة ٥٧٠هـ) ، ومهذب الدين بن النفاش استاذ زمانه بدمشق(توفي سنة ٥٧٤هـ) وابن المين زي صاحب كتاب الكافي في الطب(توفي سنة ٥٤٨هـ) وموفق الدين ابن المطران صاحب كتاب بستان الاطباء وروضة الالباء . اما اطباء القرن السابع فيكفي ان اذكر منهم كل من ابن البيطار المالقي ، وابن الفف الكركي ، وابن النفيس القرشي . وقد قلنا كلمة عن كل واحد من هؤلاء فيما تقدم . وكل واحد منهم يكفي بمفرده ان يخلد عصره الى جانب ازهى عصور الفكر الانساني عبر الزمن . ويبدو ان حكم المستشرقين الخاطئ الذي ذكرناه قد اعتمدوه على احتمال تاثير الحروب الصليبية السلبي على الحركة الفكرية . وكانت طلائع تلك الحروب قد ظهرت سنة ١١٠٠م(٤٩٥هـ) وهي السنة نفسها التي ذكرها ماكس مايرهوف اعتباطاً بداية للانحطاط الفكري المزعوم عند العرب بينما الحقيقة ان تاثير تلك الحروب السلبي على نشاط علماء العرب على الحركة الفكرية لم يكن بقدر يتناسب مع حجمها على الساحة السورية والقدسية . وقد يكون نهاية القرن السابع بداية ركود الحركة الفكرية في الطب العربي وليس قبل ذلك .

الهوامش ـ

٢٤ ـ ابن ابي اصيبعة ص ٦٩٦ ـ ٧٠٤ . ٢٥ ـ المصدر السابق ص ٧٢٣ ـ ٧٢٨ .
٢٦ ـ المصدر السابق ص ٦٧٥ ـ ٧٢٨ . ٢٧ ـ المصدر السابق ص ٧٦١ ـ ٧٦٧ .
٢٨ ـ المصدر السابق ص ٦٤٧ ـ ٦٤٨ . ٢٩ ـ المصدر السابق ص ٧٥٧ ـ ٧٥٨ .
٣٠ ـ المصدر السابق ص ٧٦١ . ٣١ ـ المصدر السابق ص ٦٠١ ـ ٦٠٢ .
٣٢ ـ المصدر السابق ص ٧٢٦ ـ ٧٥٠ . ٣٣ ـ المصدر السابق ص ٧٦٧ .
٣٤ ـ المصدر السابق ص ٧٦٧ ـ ٧٦٨ . ٣٥ ـ احمد عيسى بك ـ المستشفيات في الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٣٩ ص ٤٣ . ٣٦ ـ نلنسون . ٣٧ ـ ابن القفطي ص ٣١٩ . ٣٨ ـ ابن القفطي ص ٢١٧ ـ ٢١٩ ، ٥٨٢ . ٣٩ ـ ابن ابي اصيبعة ص ٥٨٤ . ٤٠ ـ المصدر السابق ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥ . ٤١ ـ المصدر السابق ص ٥٨٩ . ٤٢ ـ المصدر السابق ص ٥٩٠ . ٤٣ ـ المصدر السابق ص ٥٩٠ ـ ٥٩٨ . ٤٤ ـ المصدر السابق ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠ . ٤٥ ـ اقرأ عن ابن النفيس في كتاب بهذا الاسم لبول غليونجي(الدار المصرية للتاليف والترجمة) وكتاب مقدمة في تاريخ الطب العربي لناصر عبد الغادرجي(دار العلوم ص ٩٥ ـ ١٢١) .

٤٦ ـ البيمرستانات في الاسلام واحمد عيسى بك ص ٦٦ وما يليها . ٤٧ ـ المصدر السابق ص ٨٣ وما يلي . ٤٨ ـ ابن ابي اصيبعة ص ٥٣٢ . ٤٩ ـ المصدر السابق ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤ . ٥٠ ـ المصدر السابق ص ٥٢٤ . ٥١ ـ المصدر السابق ص ٥٢٤ . ٥٢ ـ المصدر السابق ص ٥٢٤ . ٥٣ ـ المصدر السابق ص ٥٢٥ . ٥٤ ـ المصدر السابق والصفحة . ٥٥ ـ المصدر السابق ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦ . ٥٦ ـ المصدر السابق ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ . ٥٧ ـ المصدر السابق ص ٥٢٦ . ٥٨ ـ المصدر السابق ص ٥٢٦ . ٥٩ ـ المصدر السابق والصفحة . ٦٠ ـ المصدر السابق والصفحة والطب والاطباء في الاندلس الاسلامية ـ محمد السوسي الخطابي ص ٤٢١ . ٦١ ـ المصدر السابق والصفحة . ٦٢ ـ المصدر السابق ص ٥٢٨ ، ابن بشكوال ـ الصلة ١/٢٠٧ ـ ٢١٤ . ٦٣ ـ المصدر السابق والصفحة . ٦٤ ـ اقرأ عن ابن خلصون عن تاريخ الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية ج ٢/ص ٧ ـ ٢٢ . ٦٥ ـ سر توماس ارنولد ـ تراث الاسلام ، دار الطليعة للطباعة والنشر(بيروت) الطبعة الثانية ص ٤٨٣ .